المو جز

في

تاريخ عسقلان

تأليف

عارف العارف

قائمقام غزة

١٣٦٢ هـ — ١٩٤٣ م



مطبعة بيت المقدس — القدس

الموجز في تاريخ عسقلان

تأليف

عارف العارف

قائمقام غزة

١٣٦٢ هـ — ١٩٤٣ م

مطبعة بيت المقدس — القدس

مقدمة الكتاب

ما كدت انتهي من تأليف كتابي في (تاريخ غزة) حتى شعرت بالرغبة تحدوني لوضع هذه الرسالة الموجزة في (تاريخ عسقلان). ذلك لانهما توءمان. او لم يأت في الحديث النبوي « طوبى لمن سكن احدى العروسين : غزة وعسقلان » ؟

ان من يتتبع تاريخ هاتين المدينتين يرى انهما ترجمان الى اصل يكاد يكون واحداً، ومجد يكاد يكون متشابهاً. ولا غرو فانهما اختان متجاورتان لا يفصل الواحدة منهما عن الاخرى سوى بضعة اميال.

هذا ما حفزني لوضع رسالتي هذه. وليس لي من فضل في وضعها سوى انني تصفحت من اجلها عدداً من الكتب والاسفار، وجمعت ما تبعثر في بطون هذه الكتب والاسفار من احاديث واخبار، واضفت الى ذلك فصلا اسميته (عسقلان في يومنا هذا). فاذا كنت قد اصبت المرمى كان ذلك ما ابغي، والا فليتقدم الى الميدان من يكمل النقص. والله من وراء القصد ؟

عارف العارف

مصادر الكتاب

آ. الكتب العربية

١. كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك — لتقي الدين المقريزي
٢. تاريخ شرق الاردن وقبائلها — لبيك باشا
٣. رحلة ابن بطوطة — لمحمد بن عبدالله الطنجي
٤. تاريخ غزة — للمؤلف
٥. معجم البلدان — لياقوت الحموي
٦. خطط الشام — لمحمد كرد علي
٧. تاريخ مصر — لابن اياس

ب. الكتب الافرنجية

1. Encyclopaedia Britannica
2. The Historical Geography of the Holy Land by *G. A. Smith*
3. Joshua Judges by *Y. Garsting*
4. The Australian Imperial Force In Sinai & Palestine by *H. S. Gullett*

عسقلان في زمن الفراعنة

ان اول ذكر لعسقلان في كتب التاريخ ، نجده حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ويظهر انها كانت يومئذ محاطة بمتراس من التراب المتكتل. وقد ذكرها المصريون حوالي ذلك التاريخ ، فوصفوها بالمدينة الكنعانية ؛ وقالوا انهم عندما افتتحوها ، وجدوا حولها سوراً حصيناً وبرجا كانا قد شيدا لاجل الدفاع عنها .

وذكرت عسقلان في الواح تل العمارنة (١٤٠٠ ق.م) بين المدن التي كاتبت فرعون مصر ، واستمدت منه العون ضد الغزاة الطامعين . وفي رسالة عسقلان هذه، اعتراف بالحكم الفرعوني. وقد كتبت بعبارة تدل على الاخلاص المطلق . ولكن الصورة التي وجدت في هذه الالواح، والتي تمثل سكان عسقلان ، تدل على ان سحنهم ليست كسحن الفلسطينيين الاخرين. ويظهر انهم حيثيون او كنعانيون ، امتزجوا بعدئذ بالفلسطينيين الذين جاءوا اليها، من طريق البحر.

ذكر تاحوتمس الثالث في فتوحاته : جرار وغزة وعاقر واللد والكرمل وغيرها من البلدان، ولكنه لم يذكر مدينة عسقلان .

والمعتقد ان رعمسيس الثاني قد استولى عليها في عام ١٢٨٥ق.م. ولكنه لم يمكث فيها طويلا، ولا اهتم بعمرانها . ويظهر ان فلسطين كلها، ما كانت لتشغل باله، مثل ما كان يشغل باله في ذلك الحين، امر الحيثيين في الشمال . فقد هاجمهم في قادش . وسلك لاجل ذلك طريق البحر كما فعل تاحوتمس الثالث من قبله . وقد كان جيشه مؤلفاً من عشرين الف من الرجال ، بين مشاة وفرسان. وفيما كان منهمكا في حروبه مع الحيثيين، قامت ثورة في الجنوب ، شملت مدن فلسطين كلها. وكانت غزة وعسقلان من اهم مراكز الثورة . فاضطر رعمسيس الثاني للرجوع اليهم واخضاعهم. واخضاعهم هذا جاء عن طريق البحر، وعلى يد (شمجر بن عناة)، القائد البحري السوري، الذي كان حليفاً لرعمسيس الثاني في ذلك الحين ، فاصاب عسقلان شيء كثير من الخراب .

وسواء أكان سكان عسقلان عند فتح رعمسيس الثاني لمدينتهم،

حيثيين ام كنعانيين ، فالظاهر من سحنهم وملابسهم واشكالهم الفسيولوجية،ومن اسلحتهم وعددهم الحربية،في الصورة المنحوتة التي وجدت بين الآثار المصرية ، انهم لم يكونوا يومئذ من نفس الجنس والشكل، الذي كان عليه الفلسطينيون، بعد عصر من ذلك التاريخ، اي في عهد رعمسيس الثالث. ولهذا يعتقد المستر غارستنغ ان طلائع الفلسطينيين نزلت عسقلان في اواخر حكم رعمسيس الثاني

وقد جاء في تاريخ مصر القديم، ان فرعون مصر الشهير رعمسيس الثالث، دافع عن عسقلان دفاع الابطال (١٢٢٥ ق.م)، وانه اتخذها يومئذ ملجأ لصد غارات الفلسطينيين

وقد كان للفلسطينيين في ذلك العهد مدن منظمة . وهناك من يعتقد ان رعمسيس الثالث هذا، اضطر بعدئذ لمسالمتهم ، فاقاموا في المدن الحصينة، التي اشتهرت في ذلك العهد ومنها عسقلان ، فصانوا الأمن وحفظوا النظام باسم مصر .

ثم ذكرت عسقلان بين المدن التي افتتحها مرنبتاح (١٢٢٣ ق.م.). ويظهر انها في هذه المرة ايضاً اتحدت مع باقي

المدن الفلسطينية، وثارت ضد الحكم المصري. فاخضعها مرن بتاح. وهناك اغنية مصرية قديمة تشير الى هذا الحادث.

وعندما خلع الفلسطينيون وفي مقدمتهم العسقلانيون، نير الحكم الفرعوني، اسسوا ملكهم ووطدوا سلطانهم؛ فتمكنوا بذلك من اخضاع بني اسرائيل، والشعوب الاخرى التي كانت في البلاد، وجمعوا الضرائب وانفقوها في سبيل مصالحهم

عسقلان وبنو اسرائيل

ورد ذكر عسقلان مراراً في اسفار العهد القديم. فقد كان اليهود يسمونها (اشقلان) (אשקלן) و (أشقلون) (אשקלון) و (عسقلون) (עשקלון) وما الى ذلك. وقد ذكرها داود في مزاميره، وكثيراً ما اشار اليها والى جات، كأنهما الصورة الجلية، التي تصور المدن الفلسطينية اذ قال: « لا تذيعوا ذلك للملأ في اسواق عسقلان ... » وكانت في زمنه سوقاً تجارية، وكانت دوماً على جانب عظيم من الرحابة والثراء

وعندما انقسم بنو اسرائيل، الى شيع واسباط، على عهد رحبعام بن سليمان (٩٣٠ ق. م)، وانقسمت البلاد الى مملكتين: (اسرائيل) في الشمال و (يهوذا) في الجنوب؛ كانت عسقلان من نصيب يهوذا، اذ جاء في سفر القضاة ١٨:١: «واخذ يهوذا غزة وتخومها، واشقلون وتخومها، وعقرون وتخومها». ولكن يظهر انهم لم يستطيعوا ان يسيطروا عليها سيطرة تامة. اذ جاء في نفس السورة من سفر القضاة: «وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي، لان لهم مركبات حديدية ...» ويعتقد الاستاذ غارستنغ ان غزة وعسقلان من سكان الوادي

ويظهر ان الكفاح بين اليهود والفلسطينيين كان عنيفاً، ودام طويلا. ولم يستطع اليهود حتى في اوان مجدهم، من الاستيلاء على السهل. وحينما كان الفلسطينيون يضعفون ويصبحون على وشك ان يفقدوا استقلالهم، كانوا يؤثرون الخضوع الى مصر وفراعنتها، على الخضوع لسلطان اليهود وسيطرتهم

غير ان المكابيين تمكنوا من اجتياح فلسطين بالسيف والنار،

على عهد قائدهم يوناثان. فاخذوا عاقر واسدود من المدن الفلسطينية، غير انهم لم يحتلوا عسقلان ، بل عقدوا اتفاقاً معها . وكان ذلك حوالي عام ١٤٧ ق.م. فاستعادت في زمنهم شهرتها السابقة. وعندما صب (اسكندر يانيوس) جام غضبه على غزة وخربها ، خضعت له عسقلان ، فسلمت من شره

ولكن هذا الوئام لم يدم طويلا ، اذ عادت عسقلان فتمسكت بعروة الاتحاد الفلسطيني ، وناصبت المكابيين العداء . وهكذا ترى الخصام قد دام ، والفساد لم ينقطع بين اليهود والفلسطينيين منذ عهد القضاة: وكانت عسقلان في مقدمة المدن الفلسطينية التي رفعت علم الخصام ، واليك البرهان :—

صموئيل ١—٦:٧

« وهذه هي بواسير الذهب التي ردها الفلسطينيون قربان اثم للرب : واحد لاشدود، وواحد لغزة، وواحد لاشقلون ، وواحد لجات ، وواحد لعقرون »

الملوك الثاني ١٨ :٨

« كان حزقيا بن آحاز ملك يهوذا ... وعمل المستقيم في عين الرب ... ولم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ... وكان الرب معه ... وعصى على ملك آشور ... وضرب الفلسطينيين الى غزة وتخومها ... »

ارميا ٤٧ — ١ :٥

« كلمة الرب التي صارت الى ارميا النبي عن الفلسطينيين، قبل ضرب فرعون غزة. هكذا قال الرب: ها مياه تصعد من الشمال وتكون سيلا جارفاً فتغشي الارض وتملأ المدينة والساكنين فيها، فيصرخ الناس و يولول كل سكان الارض ... بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين و ينقرض من صور وصيدون كل بقية تعيش لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور. اتى الصلع على غزة. أهلكت اشقلون ... »

ارميا ٢٥ :٢٧

« هكذا قال لي الرب اله اسرائيل : خذ كأس خمر هذا

السخط من يدي، واسق جميع الشعوب الذين ارسلك انا اليهم اياها فيشربوا ، و يترنحوا و يتجننوا . . . فأخذت الكاس من يد الرب ، وسقيت كل الشعوب الذين ارسلني الرب اليهم: اورشليم ومدن يهوذا وملوكها ورؤسائها وفرعون ملك مصر وعبيده ورؤسائه وكل شعبه . . . وكل ملوك ارض فلسطين واشقلون وغزة وعقرون و بقية اشدود . . . وكل ملوك العرب . . . وكل ممالك الارض التي على وجه الارض . . . وتقول لهم هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل . اسكروا واشربوا وتقيأوا واسقطوا ولا تقوموا . . . »

عاموس ١:٦ — ٧

« هكذا قال الرب: من اجل ذنوب غزة الثلثة والاربعة، لا ارجع عنه. لانهم سبوا سبياً كاملا لكي يسلموه الى آدوم. فارسل ناراً على سور غزة، فتأكل قصورها ؛ واقطع الساكن في اشدود ؛ وماسك القضيب من اشقلون ؛ وارد يدي على عقرون، فتهلك بقية الفلسطينيين »

صفنيا ٢: ١—٦

« اجتمعي ايتها الأمة غير المستحية قبل ولادة القضاء ، قبل ان يأتي عليكم يوم غضب الرب . لأن غزة تكون متروكة ، واشقلون للخراب ، واشدود عند الظهيرة يطردونها ، وعقرون تستأصل . ويل لسكان ساحل البحر امة الكريتيين . كلمة الرب عليكم . يا كنعان ارض الفلسطينيين اني اخربك بلا ساكن »

زكريا ٩: ٣—٦

« وقد بنت صور حصناً لنفسها ، وكومت الفضة كالتراب ، والذهب كطين الاسواق . هوذا السيد يمتلكها ويضرب في البحر قوتها . وهي تؤكل بالنار . ترى اشقلون فتخاف ، وغزة فتتوجع جداً ، وعقرون ، يخزيها انتظارها ، والملك يبيد من غزة . واشقلون لا تسكن ، ويسكن في اشدود زنيم ، واقطع كبرياء فلسطين »

ولكن الغلبة كانت في النهاية للفلسطينيين

عسقلان الفلسطينية

ان عسقلان ، احدى المدن الفلسطينية الخمسة، التي كانت تارة تخضع للحكم الفرعوني، وطوراً تثور فتستقل. حتى ان فرعون مصر الشهير رعمسيس الثالث اضطر — بعد كفاح طويل — الى مسالمة الفلسطينيين الثائرين . فاقاموا في مدنهم الحصينة ، وصانوا الأمن والنظام باسم مصر. واخيراً خلعوا نير الحكم الفرعوني، واستقلوا استقلالا تاماً، وانشأوا اتحاداً حكومياً : قوامه غزة وعسقلان واسدود وعاقر وجات. ولقد اكتشف المنقبون الامكنة القديمة، التي انشئت فوقها المدن الاربعة الاولى. واجمعوا كلهم على انها كانت تقوم في اماكنها الحالية مع شيء قليل من الانحراف في بعض الحالات. الا جات، فانهم لم يجمعوا الرأي في صددها بعد. ولكن الرأي السائد في يومنا هذا، انها كانت في نفس المكان الذي يقوم فوقه ذلك التل، القريب من قرية عراق المنشية من اعمال غزة

ولقد كانت عسقلان ، من اهم المدن الفلسطينية المتقدم ذكرها. لا ، بل كانت تفوق غزة ، من حيث الاهمية الحربية في بعض الاحايين، لوقوعها على الشاطئ، واتصالها بالبحر مباشرة. وهناك من

يعتقد ان الفلسطينيين الذين انشأوا اتحادهم الحكومي في مدنهم الخمسة، كانوا — عندما يعتريهم ضعف، او يهاجمهم خصم قوي — يعززون قواهم بالمهاجرين، الذين يفدون اليهم من كريت، عن طريق البحر وثغر عسقلان

وهناك ما يدل على ان سلطان هذا الاتحاد، كان يمتد من جنوب عكا الى عريش مصر. اي ان مساحة اراضيهم في زمن الاتحاد، اوسع مما كانت عليه في عهد الفراعنة، والكنعانيين الذين سبقوهم. ولقد اخضعوا بني اسرائيل ايضاً، وادخلوهم تحت طاعتهم؛ فجمعوا منهم الضرائب، وانفقوها في سبيل مصالحهم، ومن اجل تقوية مرافقهم

ولكن الخصام بين الفريقين: الفلسطينيين وبني اسرائيل، كان متواصلا. فقد كانوا في حالة احتراب لا نهاية لها. وكانت دفة الفلسطينيين في اغلب الاحيان هي الراجحة. اذ كانوا مسلحين، وكانوا من الاتحاد والتنظيم على جانب عظيم. واما بنو اسرائيل فقد كانوا اكثر عدداً من الفلسطينيين في ذلك الحين. ولكنهم كانوا

في نفس الوقت اقل تنظيما ، واقل اتحاداً . ولهذا لم يسودوا ، بل كان الفلسطينيون سادة الموقف . وكانوا عادلين ، لم يستبدوا رغم تسلحهم وقدرتهم واتحادهم . ولقد اتصف حكامهم بالعدل والمنطق وحسن الادارة. ولم يطمعوا بالتوسع والاستعمار

ولم يكن الفلسطينيون في زمن من الازمان متحدين ، مثل ما كانوا في زمن شمشون الجبار . وقصة شمشون مع الفلسطينيين اشهر من ان تذكر. تلك القصة التي حدثت وقائعها خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد . فاسمع ما قيل عنها في الاصحاح الرابع عشر من سفر القضاة :

قضاة ١٤ — ١:٢٠

« ونزل شمشون الى تمنة ورأى امرأة في تمنة من بنات الفلسطينيين. فصعد واخبر اباه وامه وقال: قد رأيت امرأة في تمنة من بنات الفلسطينيين ، فالان خذاها لي امرأة . فقال له ابوه وامه اليس في بنات اخوتك وفي كل شعبها امرأة حتى انك ذاهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف . فقال شمشون لابيه اياها خذ لي لانها

حسنت في عيني . ولم يعلم ابوه وامه ان ذلك من الرب لانه كان يطلب علة على الفاسطينيين . وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على اسرائيل

فنزل شمشون وابوه وامه الى تمنه واتوا الى كروم تمنه . واذا بشبل اسد يزمجر للقائه فحل عليه روح الرب فشقه كشق الجدي وليس في يده شيء . ولم يخبر امه واباه بما فعل . فنزل وكلم المرأة فحسنت في عيني شمشون . ولما رجع بعد أيام لكي ياخذها مال لكي يرى رمة الاسد واذا دبر من النحل في جوف الاسد مع عسل . فاشتار منه على كفيه وكان يمشي ويأكل وذهب الى ابيه وامه واعطاهما فاكلا ولم يخبرهما انه من جوف الاسد اشتار العسل

ونزل ابوه الى المرأة فعمل هناك شمشون وليمة لانه هكذا كان يفعل الفتيان . فلما رأوه احضروا ثلاثين من الاصحاب فكانوا معه. فقال لهم شمشون لأحاجينكم احجية . فاذا حللتموها لي في سبعة ايام الوليمة واصبتموها اعطيكم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب . وان لم تقدروا ان تحلوها لي تعطوني انتم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب .

فقالوا له حاج احجيتك فنسمعها. فقال لهم من الآكل خرج أكل ومن الجافي خرجت حلاوة. فلم يستطيعوا أن يحلوا الاحجية في ثلثة ايام. وكان في اليوم السابع انهم قالوا لامرأة شمشون تملقي رجلك يظهر لنا الاحجية لئلا نحرقك و بيت ابيك بنار. التسلبونا دعوتمونا ام لا. فبكت امرأة شمشون لديه وقالت انما كرهتني ولا تحبني. قد حاجيت بني شعبي احجية واياي لم تخبر. فقال لها هوذا ابي وامي لم اخبرهما فهل اياك اخبر. فبكت لديه السبعة الايام التي فيها كانت لهم الوليمة وكان اليوم السابع انه اخبرها لانها ضايقته فاظهرت الاحجية لبني شعبها. فقال له رجال المدينة في اليوم السابع قبل غروب الشمس اي شيء احلى من العسل وما اجفى من الاسد. فقال لهم لو لم تحرثوا على عجيلتي لما وجدتم احجيتي. وحل عليهم روح الرب فنزل الى اشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلا واخذ سلبهم واعطى الحلل لمظهري الاحجية. وحمي غضبه وصعد الى بيت ابيه، فصارت امرأة شمشون لصاحبه الذي كان يصاحبه

عسقلان في زمن الاشوريين

اجتاحها الاشوريون كما اجتاحوا جاراتها، في زمن (سرجون) و (سنخريب) وذاقت من جراء اجتياحهم الآلام . وقد جاء في الموسوعة البريطانية ان اول من اخضعها منهم، هو سنخريب Sennacherib وكان ذلك في عام ٧٠١ ق.م

عسقلان والفتح اليوناني

فتحها الاسكندر عام ٣٣٢ ق.م فاصبحت مدينة هيلينية. وفي زمن احفاده كانت تتناقلها ايدي البطالسة والسلوقيين. فكانت تخضع تارة لسوريا واخرى لمصر، الامر الذي ذكرناه بشيء من الاسهاب في (تاريخ غزة)

ولقد عرف البطالسة باحترام عادات البلاد وتقاليدها. ولذلك لم يتداخلوا في شؤونهم الخاصة. غير انهم اثقلوا كاهلهم بالضرائب. وقد انتدب بطليموس رجلا يهودياً يدعى (يوسف بن طو بياس)

فقالوا له حاج احجيتك فنسمعها. فقال لهم من الآكل خرج أكل ومن الجافي خرجت حلاوة. فلم يستطيعوا أن يحلوا الاحجية في ثلثة ايام. وكان في اليوم السابع انهم قالوا لامرأة شمشون تملقي رجلك يظهر لنا الاحجية لئلا نحرقك و بيت ابيك بنار. التسلبونا دعوتمونا ام لا. فبكت امرأة شمشون لديه وقالت انما كرهتني ولا تحبني. قد حاجيت بني شعبي احجية واياي لم تخبر. فقال لها هوذا ابي وامي لم اخبرهما فهل اياك اخبر. فبكت لديه السبعة الايام التي فيها كانت لهم الوليمة وكان اليوم السابع انه اخبرها لانها ضايقته فاظهرت الاحجية لبني شعبها. فقال له رجال المدينة في اليوم السابع قبل غروب الشمس اي شيء احلى من العسل وما اجفى من الاسد. فقال لهم لو لم تحرثوا على عجيلتي لما وجدتم احجيتي. وحل عليهم روح الرب فنزل الى اشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلا واخذ سلبهم واعطى الحلل لمظهري الاحجية. وحمي غضبه وصعد الى بيت ابيه ، فصارت امرأة شمشون لصاحبه الذي كان يصاحبه

والى اصدقائه الكثيرين ، والى رجال الحكم في البلاط ؛ فاشترى بذلك ضمائرهم ومهد السبل لاشباع مطامعه

عسقلان في عهد الرومان

اشتهرت عسقلان في زمن الرومان ايضاً ، فقد امتلكها هيرودتس ، وكانت هي البلد التي ولد فيها . وكانت يومئذ مليئة بالاعمدة . وكانت قائمة في نفس المكان الذي احتلته بعدئذ في الحروب الصليبية . وليس ثمة اي دليل على ان ذلك المكان كان غير المكان الذي احتلته في زمن الفلسطينيين القدماء

ولقد تمكنت عسقلان ، في عهد الرومان ، من الحصول على حماية روما . فتمتعت بحرية واسعة لم تتمتع بها المدن الاخرى . وظلت من سنة ١٠٤ ق.م. الى ما بعد ذلك باربعة قرون ونصف قرن تعتبر Oppidum Liberum تحت الامبراطورية الرومانية . ولقد نشطت في ميادين التجارة ، واصبحت مركزاً لثقافة هيلينية مزدهرة ، ونبغ فيها عدد من الفلاسفة وعلماء المنطق والكلام اكثر

من اي مكان . وكان فيها مجلس اعيان ، وانشئت فيها دار ضخمة اتخذت مقراً لهذا المجلس. وكان حولها سور يظهر انه بني في عهد البيزنطيين . وهذا السور البيزنطي ، بني على آثار السور القديم الذي انشئ في آخر العصر البرونزي وكان فيها حصن وابراج في زوايا الحصن . وقد عثر المستر غارستنغ الذي قام بالبحث والتنقيب هناك، على اعمدة وتماثيل ترجع الى ذلك العهد

ولقد اصبحت عسقلان في العهد البيزنطي (بيزنطية) بحتة. فخضعت للقسطنطينية ، وكانت يومئذ وثنية . ولـكن يظهر انها تنصرت قبل غزة . واصبحت مركزاً لأسقفية هامة. واليك حكاية الاسقف (برفيريوس) الذي صارع الوثنيين وهدم هيا كلهم في ذلك الحين :—

ارسل شماسه (مرقس) الى القسطنطينية،فاستحصل هذا على امر من السلطات العليا كي تغلق جميع المعابد الوثنية في غزة (٣٩٨ م). واستعان على ذلك بكتيبة من رجال الدرك المسيحيين جاءوا لتنفيذ الامر من عسقلان بقيادة ضابطهم (هيلاريوس) .

فجاء هذا ونفذ الامر شكلا، فبلغه الى الوثنيين طالباً اليهم اغلاق معابدهم، ومحرماً عليهم عبادة الاصنام. ولكن هذا الامر ظل حبراً على ورق. فقد ظلت المعابد قائمة وعبادة الاوثان جارية تارة جهراً، وطوراً بالخفاء. وقد قيل يومئذ ان هيلاريوس هذا قبض من الوثنيين مبلغاً كبيراً من الذهب لقاء تساهله هذا

وظلت الحال على هذا المنوال، الى ان سافر الاسقف برفيريوس بنفسه الى القسطنطينية (٤٠١م)، واستحصل على امر من الامبراطور، بمساعدة الامبراطورة افدوكسية؛ فتم له ما اراد، وقضى على الوثنية في غزة وعسقلان، وفي ما يتبعهما من البلدان، الامر الذي ذكرناه بالتفصيل في كتابنا (تاريخ غزة) فليرجع اليه من شاء

وهناك تقويم خاص بعسقلان يدعى (التقويم العسقلاني). وهذا التقويم ذو صلة وثقى بعسقلان ووقائعها، كما هي الحال في التقاويم الاخرى: كالتقويم الهجري، والتقويم الميلادي، والتقويم الشرقي، والتقويم القبطي، والتقويم اليهودي، وما الى ذلك

والتقويم العسقلاني مشابه كل الشبه للتقويم الغزي من حيث

عدد الاشهر والايام، واسماء الشهور وتعاقبها . غير ان هنالك فرقين بينهما[1] : الاول ان السنة الغزية تبدأ حوالي سنة ٦٠ قبل الميلاد ، والسنة العسقلانية تبدأ في ١٠٤ بعد الميلاد. والثاني ان السنة الغزية تبدأ في اليوم الاول من شهر ديوس (٢٨ اكتوبر) بينما السنة العسقلانية تبدأ في اليوم الاول من شهر هيبر بريتايوس (٢٨ سبتمبر)

واليك اسماء الاشهر العسقلانية وعددها ، وعدد الايام في كل شهر ومبدأها :—

(1) "Archeological Researches in Palestine" by Charles Clermant Ganneau

ترتيب الشهور	عدد ايام الشهر	اسماء الشهور		بداية كل شهر بالتاريخ الميلادي
الشهر الاول	٣٠	هيبربريتايوس	Hyperberetaeos	٢٨ سبتمبر
الشهر الثاني	٣٠	ديوس	Dios	٢٨ اكتوبر
الشهر الثالث	٣٠	ابيللويس	Apellaeos	٢٧ نوفمبر
الشهر الرابع	٣٠	اوديتويس	Audynaeos	٢٧ دسمبر
الشهر الخامس	٣٠	بيريتيوس	Peritios	٢٦ يناير
الشهر السادس	٣٠	ديستروس	Dystros	٢٥ فبراير
الشهر السابع	٣٠	كسانتيكوس	Xanthikos	٢٧ مارس
الشهر الثامن	٣٠	ارتيميزيوس	Artemisios	٢٦ ابريل
الشهر التاسع	٣٠	ديسيوس	Daesios	٢٦ مايو
الشهر العاشر	٣٠	بانيموس	Panemos	٢٥ يونيو
الشهر الحادي عشر	٣٠	لوئوس	Löes	٢٥ يوليو
الشهر الثاني عشر	٣٠	غورپيوس	Gorpiaeos	٢٩ اغستوس

وظلت عسقلان مسيحية حتى الفتح الاسلامي (٦٣٦ م) . اذ انتقلت يومئذ الى ايدي العرب وبقيت عربية اسلامية الى يومنا هذا

عسقلان والفتح الاسلامي

احتلها العرب عام ٦٣٦ م. وقد اخذوها من الروم (البيزنطيين) واشتهرت على عهدهم. وقد جاء في الحديث النبوي: « طوبى لمن سكن احدى العروسين: غزة وعسقلان! » وكان العرب يحبونها، ويسمونها عروس سوريا!

ولما قتل الحسين بن علي (رضي الله عنه) حمل قاتلوه رأسه الى عسقلان، ومنها نقلوها الى مصر. ومن قائل انهم قصدوا بها مصر، وفي طريقهم اليها عرجوا على عسقلان. وهناك من يعتقد ان الرأس ظلت في عسقلان ردحاً من الزمن. ويقول ابن اياس في كتابه (تاريخ مصر [١]) ان رأس الحسين نقلت من عسقلان الى القاهرة في ايام خلافة الفائز بنصر الله ابن الظافر بن الحافظ بن المستنصر [٢] وان ذلك حدث سنة ٥٤٩ للهجرة

ويعزو ابن اياس ذلك الى ان رأس الحسين كانت بعسقلان، فلما تولى الفرنج عليها، خاف المسلمون على الرأس،

(١) راجع الجزء الاول ص ٦٧

(٢) انه العاشر من خلفاء بني عبيد الله الفاطميين

فاحضروها الى القاهرة في علبة؛ وبنى لها الفائز مشهداً دفنها به . وقد قيل انها نقلت الى ثلاثة اماكن قبل ان تحضر الى القاهرة بمدة

وللحسين مقام في عسقلان يسميه الناس في يومنا هذا (مشهد الحسين) وله عيد يقام في كل سنة . ويؤمه الناس خلال ايام العيد من كل صوب وبالقرب من المقام واد يسمونه (وادي النمل) ويقولون انه هو الذي ذكر في القرآن .

ذكرها ابن بطوطة في كتابه (غرائب الاسفار في عجائب الامصار) ، فقال :

« ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان ، وهو خراب قد عاد رسوماً طامسة واطلالا دارسة . وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعته عسقلان : اتقان وحسن وضع واصالة مكان ؛ وجمعاً بين مرافق البر والبحر. وبها المشهد الشهير ، حيث كان رأس الحسين بن علي (عليه السلام) قبل ان ينقل الى القاهرة . وهو مسجد عظيم سامي العلو ، فيه جب للماء ، امر ببنائه بعض

العبيديين (وكتب ذلك على بابه) وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر ، لم يبق منه الا حيطانه ، وفيه اساطين رخام لا مثيل لها في الحسن ، وهي ما بين قائم وحصيد . ومن جملتها اسطوانة حمراء عجيبة ، يزعم الناس أن النصارى احتملوها الى بلادهم ثم فقدوها ، فوجدت في موضعها بعسقلان . وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر ابراهيم (عليه السلام) ينزل اليها في درج متسعة ، ويدخل منها الى بيوت في وسط عسقلان . وفي كل جهة من جهاتها الاربع عين تخرج من اسراب مطوية بالحجارة . وماؤها عذب وليس بالغزير . ويذكر الناس من فضائلها كثيراً . وبظاهر عسقلان وادي النمل ، ويقال : انه المذكور في الكتاب العزيز . وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرته ؛ اوقفنا عليهم قيم المزار المذكور . وله جراية يجريها له ملك مصر ، مع ما يصل اليه من صدقات الزوار » .

ويظهر ان عسقلان احتفظت بشهرتها في العهد الاسلامي . وظلت محتفظة به حتى الحروب الصليبية . ولقد نبغ فيها ، ولا سيما على

عهد صلاح الدين، عدد كبير من الادباء والعلماء . ولئن ضاق كتابنا هذا عن ذكرهم كلهم فانا لا نرى مندوحة عن ذكر زعيمها الفاضل عبد الرحيم بن علي اللخمي العسقلاني . واليك نبذة مختصرة من تاريخ حياته :

انه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن احمد بن الفرج بن احمد اللخمي العسقلاني مولداً ، ابو علي محي الدين ، مات في سابع ربيع الاخر من سنة ٥٩٦ ه

قال ابن خلكان عنه : وزر القاضي الفاضل للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وتمكن منه غاية التمكن. وبرز في صناعة الانشاء ، وفاق المتقدمين وله في الغرائب مع الاكثار . اخبرني احد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله — في المجلدات والتعليقات في الاوراق — اذا جمعت ما تقصر عن مائة، وهو مجيد في اكثرها. وقال عبد اللطيف البغدادي: دخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلا ، كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملي على اثنين ، وكأنه يكتب بجملة اعضائه. وكان له غرام في

الكتابة وتحصيل الكتب، وكان له الدين والعفاف والتقى ، والمواظبة على اوراد الليل ، والصيام وقراءة القرآن . وكان قليل اللذات ، كثير الحسنات ، دائم التهجد ، ويشتغل بعلوم الأدب وتفسير القرآن . غير انه كان خفيف البضاعة من النحو ، ولكن قوة الدراية توجب له قوة اللحن . وكان لا يكاد يضيع من زمانه شيئاً الا في طاعة ، وكتب في الانشاء ما لم يكتبه غيره ... »

عسقلان والحروب الصليبية

كانت عسقلان في عهد الصليبيين مدينة محصنة تحصينا تاماً. وكانت محط قتال واصطدام بينهم وبين صلاح الدين . وكان هؤلاء يسمونها عِسقلون Escalone وعَسقلون Ascalon وسْقلونا Scalona وكانت تارة تقع بيد المسلمين ، واخرى بيد الصليبيين . ذلك لأنها واقعة على شاطىء البحر ، وعلى الدرب الذي يربط مصر بسوريا . وكانت تعتبر يومئذ مفتاح القسم الجنوبي الغربي لفلسطين . وقد ارتقت الى ذروة المجد في ذلك العهد لا ، بل استطيع القول بانها

كانت اكثر اهمية من غزة . ذلك لانها واقعة على الشاطئ بالتمام ، بينما كانت غزة على بعد ميلين منه . وكانت للفريقين : المسلمين والصليبيين ، اساطيل ترسو على شاطئ عسقلان . وعندما يحتلها المسلمون وينظمون امورهم فيها، كانوا يخرجون من دور الدفاع الى طور الهجوم . وكثيراً ما وصل جندهم المرابط في عسقلان الى اسوار بيت المقدس. وقصارى القول، كانت عسقلان اثناء الحملات الصليبية، المخفر الامامي للمسلمين، تجاه الرملة التي كانت المخفر الامامي للصليبيين. ولما سقطت بايدي الصليبيين حصنوها ، فاصبحت هي مخفرهم الامامي. ولم يكتفوا بتحصينها، بل اتخذوها مقراً لحركات جيوشهم . وفيها بنوا مرة عدداً من السفن الحربية، نقلوها براً وعلى ظهور الابل، الى الطرف الشمالي الغربي من خليج العقبة، ليحاربوا المسلمين الذين كانت لهم السيادة على البحر الاحمر. هذه خلاصة لا بد من اتباعها بشيء من التفصيل ، فنقول :

عندما افتتح الصليبيون القدس (١٠٩٩ م — ٤٩٢ هـ)، واخذوها من يد الخليفة الفاطمي المستعلي، ساروا لفتح مصر . فاحتلوا

بيت جبرين وكانوا يظنونها بئر السبع. واتخذوها مقراً لحركاتهم الحربية ضد عسقلان التي كانت يومئذ محصنة تحصيناً تاماً . ثم تقدمت جيوشهم الى عسقلان ، ولكنهم ارتدوا عند اسوارها . اذ ناضل المسلمون عنها نضال الابطال ، وقد كانوا يومئذ تحت قيادة (سعد الدولة). ويقال انه سقط في تلك الموقعة ما لا يقل عن ثلاثين الفاً تحت سور عسقلان

ثم اعاد الصليبيون الكرة وحاصروا عسقلان مرة اخرى . وكان ذلك في عام (١١٥٥ م — ٥٤٨ هـ). وكانت لا تزال من اعمال الفاطميين. ولقد تمكنوا من الاستيلاء عليها بعد حصار دام ستة شهور ، كما استولوا على جميع الشواطئ، بسبب انهماك الخليفة الفاطمي، الظافر بن الحافظ بشهواته في مصر. وكان قائد الصليبيين في هذه المعركة بلدوين الثالث Baldwin III

وانحطت مصر في زمن الخليفة (الفائز بنصر الله) في مهاوي الضعف (١١٦٢ — ٥٥٥ هـ) حتى انه كان يؤدي الاموال الطائلة للصليبيين، ترضية لهم، على أمل ان يتوقفوا عن غزو مصر، ويقفوا عند

عسقلان؛ ولكنهم بعد حين اجتازوا الحدود ، ودخلوا مصر.

ويقال ان رأس الحسين نقلت من عسقلان الى مصر في تلك الفترة من الزمن (١١٥٦ م — ٥٤٩ هـ) خشية ان تقع في ايدي الصليبيين ، وان ذلك، كان في زمن الخليفة الفائز بنصر الله هذا.

ثم مات الخليفة العاضد. وبموته انتهت الدولة الفاطمية،واستولى صلاح الدين على الملك في مصر وسوريا ، فاصبح العدو المباشر للصليبيين

ففي سنة ٥٧٣ هـ خرج[١] السلطان صلاح الدين من القاهرة ، لثلاث مضين من جمادى الاولى ، لجهاد الفرنج. وسار الى عسقلان (١١٨٠). فسبى وغنم وقتل واسر. ثم مضى الى الرملة ، ولكنه وهو في طريقه اليها ، عند تل الصافي،التقى بجموعهم الكثيرة،وعلى مقدمتهم البرنس ارناط Le Prince Rensurd de Chatillon صاحب الكرك فانهزم المسلمون ، واكثرهم من الاكراد. وثبت السلطان في طائفة، فقاتل قتالا شديداً. وفي رجوعهم الى مصر لاقوا

---

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

الاهوال ومات منهم خلق كثير. ولما دخل القاهرة حلف ان لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج

ظل السلطان صلاح الدين عشر سنوات يتأهب للانتقام، ويستعد للوثوب على الفرنج ليخرجهم من البلاد، ولما أهلت سنة ٥٨٣ ه وقد كان يومئذ في دمشق، اصدر اوامره بالزحف. فسار من دمشق، وجاء العادل من القاهرة عن طريق العقبة، فالتحق به واستولى على طبريا عنوة. ثم وقعت واقعة حطين المشهورة، فكان النصر بجانبه، فاخذ الصليب، واسر عدة ملوك. وضرب السلطان بيده عنق البرنس ارناط الذي كان قد قهره في معركة تل الصافي

ومن هناك سار الى عكا فحاصرها، ثم فتحها عنوة. وقد كان فيها يومئذ من الفرنج نحو خمسين الفاً. ثم افتتحت عدة حصون منها: الناصرة، وصفورية، وحيفا، وقيسارية. ثم اخذت سبسطية، ونابلس، ويافا، وصور، وصيداء، وجبيل، وبيروت. فانقذ في هذه الحروب ما يزيد عن عشرين الفاً من المسلمين الذين كانوا في سورية عند الفرنج، ، واسر منهم مائة الف اسير

وبعد فتح بيروت ، سار السلطان صلاح الدين الى الرملة فاستولى عليها ، ثم استولى على الخليل وبيت لحم ، واجتمع باخيه العادل ، فنازلا عسقلان[١] في السادس عشر من جمادى الآخرة لسنة ٥٨٣ هـ ونصبا المجانيق عليها . ورغم ان ملك بيت المقدس ورئيس الداوية من الصليبيين، نصحا لاهل البلد من الفرنج بالتسليم سريعاً ، فلم ينتصحوا حتى وقع الجد في القتال فتسلم السلطان البلد . وخرج منه الفرنج (١١٨٧ م) الى بيت المقدس ، بعد ان ملكوه خمساً وثلاثين سنة

وقد تسلم السلطان حصون الداوية وهي : غزة ، والقطرون بالقرب من الرملة ، وبيت جبريل . وقدم عليه بظاهر عسقلان ابنه العزيز عثمان[٢] من مصر، ووافته الاساطيل وعليها الحاجب لؤلؤ .

---

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . الجزء الاول ص ٩٥

(٢) كان السلطان قد وهب عسقلان الى اخيه العادل . لكنه بعد مدة زارها (٥٨٤ هـ) فرأى من المصلحة ان ينتدب العادل لمعاضدة الملك العزيز فارسله الى مصر وعوضه بالكرك عن عسقلان

وكانت الشمس قد كسفت قبل اخذ عسقلان بيوم ، حتى اظلم الجو وظهرت الكواكب

ومن عسقلان سار السلطان — وقد اجتمعت اليه العساكر — لفتح بيت المقدس فافتتحها .

وفي سنة (١١٩١م — ٥٨٧ هـ) قام الصليبيون يثأرون لانفسهم من صلاح الدين . فامتلكوا عكا واسروا من كان فيها من المسلمين . ثم ساروا الى عسقلان وكانوا يومئذ بقيادة ريكاردوس قلب الاسد . وواقعهم في الرابع عشر من شعبان بارسوف ، فانهزم المسلمون ، ولكن صلاح الدين ثبت حتى اتته النجدة ، فعاد الى القتال . فنزل على عسقلان يريد تخريبها لعجزه عن حفظها . ففرق ابراجها على الامراء . ووقع الضجيج والبكاء في الناس اسفاً وغماً لخرابها . وكانت من احسن البلاد بناء ، واحكمها اسواراً ، واطيبها سكناً

قال الحافظ عبد العظيم المنذري في المعجم المترجم : « سمعت الامير الأجل أياز بن عبد الله - يعني ابا المنصور البانياسي الناصري -

يقول : لما هدمنا عسقلان اعطيت انا برج الداوية ، وهدم خطلج برجا ، وجد مكتوباً عليه (عمر على يدي خطلج) . وقد اخبرني القاضي الاجل ابو الحسن علي بن يحي الكاتب قال: رأيت بعسقلان برج الدم وخطلج المعزى يهدمه — يعني في شعبان — ورأيت عليه مكتوباً : مما امر بعمارته السيد الاجل امير الجيوش — يعني بدرا الجمالي — على يد عبده ووليه خطلج في شعبان . فعجبت من هذا الاتفاق ، كيف عمر في شعبان على يد خطلج ، وهدم في شعبان على يد خطلج ! »

ثم رحل السلطان عن عسقلان وقد خربت في ثاني رمضان ، ونزل على الرملة فخرب حصونها ، وحصن القطرون . وكان بين المسلمين والفرنج عدة وقائع في البر والبحر . فعاد السلطان الى القدس واخذ يعمر اسوارها ويحفر الخنادق ، ويستعد للقتال

بعد ذلك بسنة (١١٩٢ — ٥٨٨ ﻫ) نزل الفرنج على ظاهر عسقلان . وحاولوا عمارتها ؛ فما مكنوا . وواقعهم جماعة من الاسدية منهم يازكح (او يازكوح) وغيره ، وتوالت الوقائع بينهم . ففي رجب

من سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨ م) تجدد للعادل والعزيز رأي في تخريب عسقلان وتعفية جدرانها وهدم بنيانها . فانتدبا من القدس جماعة لهذا العمل. جاءوا اليها فحطموا اسوارها ، وهدموا ابراجها. وعلى هذا المنوال تلفت مدينة لا مثيل لها بين المدن، وثغر لا نظير له في الثغور، وعمارة لا تخلف الايام ما تلف منها

وقد زاد في الطين بلة، ان احفاد صلاح الدين، اختلفوا فيما بينهم في قسمة البلاد التي ورثوها عن ذلك البطل المغوار. فقامت فتنة بينهم (١٢٤٥ م — ٦٤١ هـ) كان من نتيجتها ان خسر المسلمون عسقلان ، وخسروا معها طبريا والقدس . واليك التفاصيل :—

اتفق الناصر داود صاحب الكرك، مع الصالح اسماعيل صاحب دمشق، على محاربة الصالح نجم الدين الذي سار من القاهرة الى دمشق، فخطب له بجامعها باسم السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب . فتحالف الناصر داود، والصالح اسماعيل مع الفرنج، ورضيا بان يكونا عوناً لهم على الملك الصالح نجم الدين ، ووعداهم ان يسلما

اليهم القدس ، وقد سلماهم طبرية وعسقلان . فعمر الفرنج قلعتيهما وحصونهما ، وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس وجاسوا فوقها بالخمر ، وعلقوا الجرس على المسجد الاقصى (١)

فاستنجد الملك الصالح نجم الدين ايوب بالخوارزمية ، يستدعيهم الى ديار مصر لمحاربة اهل الشام

والتقى القوم مع الخوارزمية بظاهر غزة . وقد رفع الفرنج الصلبان على عسكر دمشق ، وفوق رأس المنصور صاحب حمص ، والقساوسة تصلب ، وبايديهم اواني الخمر تسقي الفرسان . وكان في الميمنة الفرنج ، وفي الميسرة عسكر الكرك ، وفي القلب المنصور صاحب حماة . فحمل الخوارزمية والعساكر المصرية عليهم حملة شعواء ، ودارت بين الفريقين حرب شديدة ، كان النصر فيها حليف الخوارزمية وحلفائهم المصريين . وقتل من الفرنج وحلفائهم اهل الشام خلق كثير ، قدرهم بعض المؤرخين بثلاثين الفاً . فازدانت القاهرة باعلام النصر ، ونكست اعلام الشام

---

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الاول ص ٣١٥

ان الانتصار الذي ناله الملك الصالح نجم الدين وعساكره المصريون وحلفاؤه الخوارزميون في معركة غزة جعلهم يفكرون في استرداد عسقلان لاهميتها الحربية. فسار الامير بيبرس اليها وكان معه عدد من امراء المسلمين فحاصروها . ولكنها امتنعت عليهم لحصانتها .

وقد كان فيها يومئذ من امراء الصليبيين ، ريكاردوس اوف كورنوال R. of Cornwall فحصنها هذا وشرع ببنائها من جديد. ولمـــا امتنعت على المسلمين رسموا خطة حربية للاستيلاء عليها مع الزمن. وكان من شروط هذه الخطة ان يقوم الامير بيبرس عليها فاقام،ورحل سائر الامراء الى الانحاء الاخرى فاحتلوا غزةوالسواحل والقدس والخليل و بيت جبريل ونابلس والاغوار (١٢٤٦م-٦٤٢هـ)

ويظهر ان عسقلان ظلت بيد الفرنج حتى سنة ٦٤٤هـ (١٢٤٨ م) اذ اعتزم الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ان يفتتحها . فسار اليها بعسكر جرار وحاصرها . وظل محاصراً لها حتى اخذها من الفرنج ، وهدم حصونها. وكان ذلك في زمن السلطان

الصالح نجم الدين ايوب . وعلى قول انه هو (اي السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب) الذي اخذ عسقلان وانه اخذها عنوة وخربها ، وان ذلك جرى في يوم الخميس الثاني عشر من جمادى الآخرة لسنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٩ م)

وفي سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، من القاهرة الى عسقلان لهدم مابقي منها،خوفاً من مجيء الفرنج اليها ، فنزل عليها في الثامن من ربيع الاول، وهدم بنفسه ما بقي من حصونها واسوارها، حتى سوى بها الارض وسد مرفأها بالحجارة وعاد الى مصر

وفي الخامس من ربيع الاول سنة ٦٨٢ للهجرة (٣ يوليه ١٢٨٣ م) عقدت الهدنه بين السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفي الصالحي النجمي العلائي، وبين فرنج عكا الذين تتألف منهم مملكة بيت المقدس الصليبية، تلك المملكة التي كان يرأسها في تلك السنة ملك صقلية شارل الانجوي Charles of Anjou وكانت مدة تلك الهدنة عشر سنين كوامل، وعشرة اشهر وعشرة

ايام وعشر ساعات . وكان من شروطها ان جعلت عسقلان واعمالها وموانيها وسواحلها من املاك الملك المنصور قلاون . واستولى المسلمون بموجب هذه الهدنة على جميع البلاد ما عدا حيفا وعكا و بعض الاديار .

عسقلان فى عهد الاتراك

يظهر ان عسقلان ظلت طلولا ينعق فوقها بوم الخراب الى ان استولى عليها الاتراك في عهد السلطان سليم الاول الملقب (بياووز) . واخذوها من المماليك . وكان ذلك في عام ١٥٠١ م — ٩٢٢ ه

ولقد قامت على عهدهم ، بجانب عسقلان التاريخية ، قرية صغيرة سميت (الجورة) او (جورة عسقلان) . وجعلت تابعة لناحية المجدل التي اعتبرت من اعمال قضاء غزة . وفقدت ما كان لها من اهمية في التاريخ القديم . فلم تعد تعتبر من القلاع الحصينة او الثغور التجارية

عسقلان والاحتلال الانكليزي

احتل الانكليز عسقلان في ٩ نوفمبر ١٩١٧ . وقد جاءوا اليها عن طريقين : من الجنوب بمحاذاة الشاطىء ، ومن الشرق باتجاه برير وحليقات . وكان الاسطول الانكليزي مرابطاً في نفس الوقت تجاه عسقلان من البحر . وكان عدد قطعاته اربعين بين مدرعات و بوارج . وعندما سقطت برير ، وسقطت من بعدها حليقات ، وقد كانت هذه يومئذ المقر الرئيسي، الذي كان يدير منه القائد الالماني الجنرال (كرس فون كرستشتاين) حركات الجيش التركي خرج عدد كبير من الاتراك الذين كانوا مرابطين في عسقلان الى القتال . فالتحموا مع الجيش الانكليزي ، وقاتلوا فرقة المشاة اللندنية (رقم ٦٠) وفرقة الفرسان الاسترالية، وفرقة المشاة (رقم ٧٥)، وفرقة اللولندرس (رقم ٥٢) . وكان الصراع بينهما عنيفاً . و بعد ان كانت دفة الاتراك هي الراجحة ، حتى انهم ربحوا اربع معارك في يوم واحد ، مالت الدفة الى الجانب الآخر ، بسبب وصول نجدات كبيرة . فغلب الاتراك على امرهم وارتدوا الى عسقلان

ولم يمكثوا فيها سوى يومين ، حتى اضطروا لتخليتها . فدخلها الانكليز من غير حرب . وكان ذلك في ٩ نوفمبر ١٩١٧ . وعندما سقطت عسقلان بيد الانكليز ، اخذوا يشعرون بانهم هم الظافرون ، وانهم هم المسيطرون على ميادين القتال . فهناك البحر على يسارهم ، وجبال القدس على يمينهم . والاتراك اعداؤهم يولون الادبار امامهم . ولقد اسروا عدداً كبيراً من جنودهم

وكان اول من دخل عسقلان من القواد البريطانيين البريجادير جنرال شارل فردريك قوقس [١] Brigadier-General Charles Fredrick Cox وهو قائد الآلاي الاول من الفيلق الواحد والعشرين الذي كان يقوده الجنرال شوفيل General Chauvel ، وكان الجميع يعملون تحت امرة القائد العام اللورد اللنبي الذي انتدب لافتتاح فلسطين .

---

(١) انه استرالي الاصل . ولد في Paramatta عام ١٨٦٣م . وكان في صغره كسولا وعين كاتباً في السكك الحديدية . ثم تطوع في الجيش فاصبح ضابطاً ١٨٩٤ واشترك في حروب البوير وابدى بسالة . وكذلك فعل في الحرب الكبرى بفلسطين

عسقلان في يومنا هذا

قرية صغيرة واقعة على شاطئ البحر ، وعلى بعد ثلاثة اميال للجنوب الغربي من المجدل واثنى عشر ميلا للشمال من مدينة غزة. تدعى (الجورة) ويقولون لها (جورة عسقلان) ايضاً. وهي واقعة في نفس المكان الذي كانت فيه عسقلان التاريخية في عهد الكنعانيين والفراعنة والفلسطينيين وغيرهم من المتقدمين. يقطنها في يومنا هذا الفان ومئتان وخمسة وثمانون شخصاً من السكان بين ذكور واناث. جوها نقي. وماؤها عذب. وتربتها خصبة للغاية.

عنبها مشهور ، وكذلك قل عن خضارها. وفيها عدد كبير من اشجار الزيتون والاشجار المثمرة الاخرى.

اما سمكها فانه مشهور في جميع اسواق فلسطين. وله انواع كثيرة اهمها البوري ، والفريدن ، والفنيار ، والموسقار ، والسرغوس ، واللقز ، والدهبان.

وأهل الجورة مولعون بصيد السمك منذ القديم. والجورة من

أهم مراكز الصيد بفلسطين . لا يسبقها في هذا المضمار سوى حيفا وانها لتفوق غزة ، وحمامه ، والنزلة ، وجباليا ، وهربيا ، ودير البلح ، والشيخ عجلين ، وخان يونس وسائر مراكز الصيد من اعمال غزة الكائنة على شاطئ البحر المتوسط . فيها ٢٨٥ صياداً بينما لا يوجد في غزة اكثر من ٧٥ (عام ١٩٤٢). وهناك ستون قارباً كبيراً لصيد السمك بينما لا يوجد في غزة اكثر من عشرين. ويعزون هذه الظاهرة الى بحر الجورة ، فان مراعي السمك على شواطئه خصبة للغاية . وهذا المورد يأتي في الدرجة الاولى بين الموارد الاقتصادية المسيطرة على عسقلان واهلها في هذه الايام .

واما العنب فانه يأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية . ولكنه في الدرجة الاولى من حيث الجودة. انه مشهور بجودته لا في الجورة فحسب، ولا في ما جاورها من البلدان، وانما في جميع انحاء فلسطين . وكثير من الناس يؤثرونه على عنب بربره ، وخليل الرحمن. انهم يزرعونه على مساحات شاسعة تقدر بما لا يقل عن ٨٠٠٠ دونم . ويربحون من وراء الاتجار به ارباحاً طائلة. وهو

انواع كثيرة اهمها الزراقي ، والاصفر (وهو ما يسمونه في بعض الاحيان المراوي) ، والشوباني ، واليافاوي ومن خواصه انه يحتمل السفر الطويل دون ان يلم به العطب. ذلك لان قشرته غليظة بسبب هواء البحر. حتى انك اذا ما اردت ان تشتري عنباً من الكروم القريبة من شاطئ البحر طلبوا منك سعراً أعلى من السعر الذي يطلبونه عادة في الكروم البعيدة عنه .

وتأتي الخضار في الدرجة الثالثة من حيث الفائدة الاقتصادية. والخضار التي تزرع في الجورة مختلفة الانواع . منها الفاصوليا ، والبندورة، والكوسا، والباذنجان ، والفلفل، والخيار، والجزر. وأن نسينا فلا ننسى (البصل العسقلاني) فانه مشهور لا في فلسطين فحسب ، بل في اوربا كلها . وشهرته هذه قديمة العهد . اذ كان الرومان يسمونه Ascalonia Coepa ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة Scalogna الايطالية و échalotte الافرنسية و Shalot الانجليزية

ثم تأتي زراعة الحبوب ، ولكن على مساحة ضيقة تكاد لا تتجاوز الالفين من الدونمات . وهذا لا يسد حاجة السكان ، بل

تراهم دوماً في حاجة الى كميات كبيرة من الحبوب يشترونها من القرى المجاورة .

ويربح الجوارنة مبالغ كبيرة من الفر . فقد حدثني المولعون بصيد هذا الطير انهم ربحوا منه في هذا العام ثلاثة الاف جنيه .

فيها ثلاثون بيارة مغروسة بالاثمار الحمضية . وقد عرفت الجورة هذا النوع من الاشجار قبل مئة عام، يوم انشأ رجل مجدلي يدعى (جراو) اول بيارة فيها . وكانت يومئذ تدار بالجمال. فاشتراها منه الشيخ حسن الاستاذ. ثم انتقلت الى رجل من القدس يدعى سعيد تاج الدين الجاعوني. فاستعمل هذا حبلا من حديد من اجل اخراج الماء وسقي الاشجار. ولم تدخل الماكنات الحديثة الا قبل ثلاثين سنة بالوجه التقريبي .

فيها مدرسة حكومية ذات اربعة صفوف ابتدائية . يديرها استاذان فقط ، ويؤمها مئة وعشرون تلميذاً . وليس فيها كتاتيب اهلية

فيها مسجد قديم. وليس فيها كنائس

وسكانها كلهم مسلمون، مسالمون، طيبو القلب. وهم كرام ، واذكياء. وللنظافة عندهم مقام

يعيشون في بيوت حجرية ، وليست من طين كما هي الحال في اكثر القرى المجاورة . بناؤها متين ، وقديم. ويظهر ان الكلس الذي كان الاقدمون يستعملونه في بناء دور الجورة ومنازلها اقوى من الاسمنت . وفي الجورة ما لا يقل عن خمسمئة بئر . لا ، بل اكاد اقول انه يوجد في كل دار بئر . وبعض هذه الآبار مهجور ، وبعضها معمور

ليس في الجورة خيول كثيرة ، ولا غنم. وانما فيها عدد كبير من الجمال يستخدمونها في نقل السمك والخضار والمنتوجات الزراعية الاخرى الى المدن والقرى المجاورة

والجوارنة مجتهدون، وليسوا بمثقلين بالديون. انهم متحدون، وقد انشأوا (جمعية تعاونية) الغاية منها تنشيط الاعمال والمشاريع الزراعية. ولم يبيعوا شبراً من اراضيهم لا لليهود ، ولا لغيرهم

فيها (مقام الحسين). ويظن البعض ان الحسين قد استشهد

في هذا المكان، ودفن فيه . ولذلك يسمونه (مشهد الحسين). مع انه لا اصل لهذا الظن. كما انه لا أصل للاعتقاد السائد بان رأس الحسين مدفونة هناك الآن. اذ انه ثبت تاريخياً[١] « ان رأس الحسين نقلت من عسقلان الى القاهرة في زمن الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله. وان ذلك حدث سنة ٥٤٩ للهجرة. اذ خيف عليها يومئذ من وقوعها بيد الصليبيين »

ومهما كان الأمر فان سكان جورة عسقلان ، والمجدل ؛ لا ، بل سكان قضاء غزة كلهم يشتركون في الاحتفال الشعبي الذي يقام في ذلك المقام مرة في كل عام. فتفد الوفود اليه من كل حدب، وتتسابق الخيل اليه من كل صوب، وترف الرايات والاعلام برئاسة مشايخ الطرق المختلفة الذين ينسلون اليه من كل مكان

وبالقرب من المقام واد يقال له (وادي النمل)، ويسمونه في بعض الاحيان (وادي الدم). ذلك لأن المعركة التاريخية الهائلة التي نشبت بين الصليبيين وصلاح الدين من اجل امتلاك عسقلان

---

(١) راجع تاريخ مصر لابن اياس

نشبت ، على ما يقال ، في ذلك المكان . فراحت زيارته عادة بين السكان ، وتطورت العادة فاصبحت عيداً قومياً

وفي وادي النمل هذا مقام لرجل من المجاهدين يسمونه (الشيخ محمد العسقلاني) . ويقولون انه ابلى بلاء حسناً في الحروب الصليبية التي اتينا على ذكرها في الاسطر المتقدمة . وبين مقامه هذا والبحر سرداب طويل يظهر انه حفر اثناء حصار عسقلان

وفي عسقلان كثير من الابنية والآثار القديمة . وقد كانت هذه الابنية في العهود الغابرة عامرة ، لـكنها هجرت فاصبحت طلولا ينعق فوقها بوم الخراب . ذلك لانه كان من شروط الهدنة التي عقدت بين الصليبيين وصلاح الدين ان تدك قلاع عسقلان وحصونها التي كانت قائمة في ذلك الحين . فدكت ثم اصابها ما اصابها من هجر طويل ، الامر الذي قصصناه عليك في موضع آخر

وانه لما يؤسف له ، من وجهة علمية واخرى تاريخية ، ان الحصون وان كانت قد دكت ، والقلاع قد هجرت ، والاعمدة الجميلة قد تبعثرت ، الا انه كان يجب على الحـكومات التي تعاقبت

بعدئذ، ان تحتفظ بتلك الآثار، ليتمكن الابناء من تتبع انباء الآباء والاجداد. ولكن ! هو الجهل يفعل ما يشاء. فلم يكن ثمة اية رقابة من هذه الناحية. فراح السكان، وقد كانوا من الجهل بمكان، ينشرون الحجارة والعمدان، والبلاط المصنوع من الرخام؛ ويبيعونها في اسواق غزة بالدرجة الاولى، وفي الرملة ويافا بالدرجة الثانية. وكثيراً ما كانت السفن ترسو على شواطئ الجورة لتنقل منها آثار عسقلان. وعندما تغيب هذه كانوا يستخدمون الفلك تارة، والابل اخرى. وانك اذا ما غشيت منازل الوجوه والاعيان في هذه المدن وفي الجامع العمري الكبير بغزة، وجدت الشيء الكثير من البلاط والحجارة والاعمدة المتقدم ذكرها

كان الجوارنة ينشرون البلاط بالمنشار، ويبيعونه تارة الى اصحاب المنازل رأساً، وطوراً الى التجار. وقد جمع بعضهم من هذه الطريق ارباحا طائلة. لا، بل كانت ارباحهم منها اكثر من ارباحهم من صيد السمك والخضار ومن اي مورد آخر

وازدادت الحال سوءاً من هذه الناحية في العهد التركي. ولم

ينتبه الاتراك لها الا في عهد السلطان رشاد. حيث حظروا على الجوارنة الدنو من الآثار ، ونشرها ، والاتجار بها

وانك لواجد اليوم ، اينما حللت وحيثما سرت في ذلك المكان ، وبالاحرى في شقة من الارض حول عسقلان قد لا تقل مساحتها عن ثلاثة اميال ، خرائب وآثار ، تدلك على ما كانت عليه عسقلان ، من مجد في سالف الازمان

فهناك الحجارة الضخمة ، والاعمـــدة الـكبيرة ، والبلاط المصنوع من الرخام. وهناك النصب والتماثيل المصنوعة للقواد والرجال العظام الذين سيطروا عليها في يوم من الايام. وهناك التوابيت الحجرية ، والتوابيت المصنوعة من الرصاص . وكذلك قل عن المنازل والقصور القديمة ، والمصاغ والحلى التي عثر عليها الاهلون واشتراها المنقبون. انك اذا ما غشيت منزلا من منازل سكان الجورة ، في هذه الايام ، حدثوك عن عسقلان ، وعما عثروا عليه بين طلولها ، من حجارة كريمة وحلى وآثار

وهناك في جنوب السور القديم ، كرم كان لرجل من الجورة يدعى

(محمد عايش قباجه) وهو الآن من املاك ورثة يوسف العلمي، عثروا فيه على قبور وتوابيت من رصاص. ووجدوا في احد هذه التوابيت، ميتاً عليه ثوب كله مصنوع من الذهب. وفي قبر من هذه القبور، عثروا على كمية لا يستهان بها من الاقراط والخواتم والحلى الذهبية. وقد بيعت هذه الحلى الى تجار الآثار بغزة.

ويظهر من الآثار، ان بوابة عسقلان، كانت في الناحية الجنوبية المحاذية للبحر، ومن هذه البوابة يمتد لسان طويل في البحر، يعتقد الباحثون انه جانب من جوانب مرفئها القديم.

وقصارى القول ان آثار عسقلان لجديرة بالبحث والتنقيب. ومن المؤسف انه لم يجر فيها حتى الآن تنقيب علمي على مقياس واسع. اجل، لقد قامت الليدي هستر ستانهوب Lady Hester Stanhope عام ١٨١٥م، بالتنقيب عن آثار عسقلان؛ واستخدمت لهذه الغاية، ما بين مئة ومئة وخمسين عامـــلا ؛ وظلت تعمل هناك بضعة اسابيع، ولـكن عملها هذا لم يكن مستنداً على اساس علمي.

ومسحت بعثة البحث عن الآثار الفلسطينية The Palestine

Exploration Fund مكان الآثار بعسقلان عام ١٩١٣م. ثم قامت (١٩٢٠ — ١٩٢٣) تبحث عن الآثار نفسها. وكان ذلك بنظارة كل من الاستاذين غارستنغ Garstang وفيزيان آدام Phythian Adams . فعثرت على اروقة هيرود الملك ، وعلى القصر الملكي الذي ذكره المؤرخ الشهير يوسيفوس . كما عثرت على عدد من التماثيل . وكذلك عثرت على كميات كبيرة من الفخار المبعثر هنا وهناك ، وعلى بقايا مسرح بيزنطي، ثبت فيما بعد، انه كان فيما مضى معداً لمجلس الاعيان،ثم جعل قاعة للتمثيل. وعند فوهة احدى الآبار اكتشف (نصب السلام). ومن يدري لعل هذه البئر هي (بئر السلام) التي ذكرها انطونيوس الشهيد (٥٦٠ — ٥٧٠ ب.م.) ان هذه البعثة وان كانت قد تمكنت من ارجاع تاريخ عسقلان الى ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد ، الا انها لم تتابع عملها . فظل هذا ناقصاً يحتاج الى مثابرة واتمام. وقد اسست مصلحة الآثار بحكومة فلسطين في وسط المدينة القديمة،متحفاً جمعت فيه كل ما عثرت عليه من آثار عسقلان .

